

## الحلقة (١)

### عنوان الحلقة / التفسير والتأويل وأهميته.

#### عناصر الحلقة:

١. نعمة الله تعالى بإنزال القرآن الكريم.
٢. أوجه العناية بالقرآن الكريم.
٣. معنى التفسير في اللغة والاصطلاح.
٤. معنى التأويل في اللغة والاصطلاح.
٥. أنواع التأويل.
٦. الفرق بين التفسير والتأويل.
٧. شرف علم التفسير وأهميته.

### ❖ معنى التفسير في اللغة والاصطلاح

**التفسير في اللغة:** تفعيل من الفسر بمعنى الإبانة والكشف وإظهار المعنى، وفعله كضرب ونصر، يقال فسر الشيء يفسر بالكسر، ومن باب نصر يفسر بالضم، وفسره: أبانه والتفسير والفسر: الإبانة وكشف المغطى وجاء في لسان العرب الفسر: كشف المغطى والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل، قال تعالى {وَلَا يَأْتُوكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} قال ابن عباس -رضي الله عنهما- في قوله تعالى {وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} أي: تفصيلاً، وذهب بعض اللغويين إلى أن كلمة "فسر" مقبولة من: "سفر"، وهذا ما يعبر عنه النحويين بالقلب المكاني، ومعناه أيضاً "الكشف"، يقال: سفرت المرأة سفوراً إذا ألقَتْ خمارها عن وجهها وهي سافرة وأسفر الصبح أضاء، وإنما بنوه على التفعيل أي التفسير لأنه للتكثير كقوله سبحانه وتعالى {يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ} وقوله جل وعلا {وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ} وفي هذين الفعلين {يُذَبِّحُونَ} و {وَعَلَّقَتِ} زيادة معنى وكما قال اللغويون الزيادة في المبني تدل على الزيادة في المعنى ففي قولنا التفسير كأنه يتبع سورة بعد سورة وآية بعد أخرى يفسرها ويبينها ويوضح معانيها.

**أما التفسير في الاصطلاح** فكلام العلماء فيه كثير اقتصر هنا **على قولين** في بيان المراد بالتفسير في الاصطلاح،

• الأول عن إمام المفسرين في زمانه "أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي رحمه الله" عرفه: بأنه علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمتات لذلك، ذكر هذا في مقدمة تفسيره البحر المحيط ثم بعد ذلك

شرح هذا التعريف الإصطلاحي فقال قولنا علم هو جنس يشمل سائر العلوم.  
وقولنا يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن هذا هو "علم القراءات" ومعلوم أن علم القراءات من أشرف العلوم المرتبطة بكلام الله جل وعلا.

وقولنا "ومدلولاتها" أي: مدلولات تلك الألفاظ وهذا هو علم اللغة الذي يُحتاج إليه في هذا العلم أي بيان الغريب، بيان غريب ألفاظ القرآن الكريم وقد ألف في ذلك مصنفات ومؤلفات كثيرة سيأتي الحديث عنها في حلقات قادمة إن شاء الله تعالى.

وقولنا "وأحكامها الإفرادية والتركيبية" هذا يشمل: علم التصريف وعلم الإعراب وعلم البيان وعلم البديع وهذه بلا شك علوم مهمة يجب أن يعتني بها المفسر ومن يرغب القراءة في التفسير أن يكون له عناية بهذه العلوم علوم اللغة علم النحو وعلم التصريف وعلوم البلاغة، فالقرآن نزل بلسان عربي مبين.

وقولنا "ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب: يشمل: ما دلالاته عليه بالحقيقة وما دلالاته عليه بالمجاز والحديث عن المجاز سيأتي في الحلقات القادمة إن شاء الله تعالى وقولنا وتتمت لذلك هو معرفة النسخ وسبب النزول وقصة توضيح بعض ما انبهم في القرآن ونحو ذلك، هذا هو التعريف الذي ذكره أبوحيان علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمت لذلك ،

• أما التعريف الآخر فقد ذكره الإمام الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن قال رحمه الله: التفسير علم يفهم به كتاب الله جل وعلا المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه، وهذا بلا شك تعريف مختصر موجز.

### ❖ معنى التأويل في اللغة والإصطلاح :

**التأويل في اللغة :** مأخوذ من **الأوّل** وهو الرجوع إلى الأصل يقال آل إليه أولاً ومآلاً أي: رجع، ويقال: أوّل الكلام تأويلاً وتأوله أي دبره وقدره وفسّره.

**أما معناه في الإصطلاح :** فهو تفسير الكلام وبيان معناه وهذا هو ما يعنيه الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسيره حين يقول: القول في تأويل قوله تعالى، أو تأويل، اختلف أهل التأويل، ثم يقول قال ابن عباس قال ابن مسعود قال كذا وكذا إلى آخره فالمقصود بالتأويل عند ابن جرير الطبري رحمه الله أي بمعنى التفسير وهذا هو معنى التأويل عند السلف رحمهم الله تعالى.

أما التأويل في عرف المتأخرين فهو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به، **ولكن هذا غير صحيح** فإن أهل المذاهب الباطلة والاتجاهات المنحرفة أولوا كثيراً من صفات الله سبحانه وتعالى على غير وجهها الصحيح فمثلاً لا يثبتون أن لله وجهاً لقول الله سبحانه وتعالى "ويبقى وجه ربك" فيقولون: لا، المقصود الثواب، وأيضاً صفة اليد لله تبارك وتعالى حين يقول سبحانه

وتعالى "بل يدها مبسوطتان" فهم يأولانها بالقدرة أو النعمة، وهذا بلا شك تأويل باطل غير صحيح،

### ❖ أنواع التأويل:

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- أن التأويل على ثلاث أوجه:

■ **الأول:** بمعنى التفسير وإيضاح المعنى وهذا قد سلكه كثير من السلف ومنهم الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى كان يقول: القول في تأويل قوله تعالى أو يقول: قال أهل التأويل، ثم يذكر التفصيل بعد ذلك،

■ **الثاني:** أن يراد به ماهية الشيء وحقيقته كقوله تعالى: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ} يعني يوم حقيقته والواقع ونحو ذلك ومنه أيضاً حديث عائشة رضي الله عنه قالت: (كان رسول الله ﷺ في آخر حياته يكثر أن يقول استغفر الله وأتوب إليه) ثم قالت رضي الله عنه: (كان يتأول القرآن أي: أنه كان يطبق ويلتزم قول الله تعالى {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا})

■ **الثالث:** صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترب به عند صاحبه وهذا كما قلت مذهب باطل ومذهب سيئ لا يصح أن يحمل عليه كلام الله سبحانه وتعالى،

### ❖ الفرق بين التفسير والتأويل:

بعد النظر إلى التعريفات السابقة سواء فيما يرتبط بالتفسير أو فيما يرتبط بالتأويل هناك مذاهب وأقوال في الفرق بين التفسير والتأويل وقد جمعت شيئاً من ذلك منها:

• **أولاً:** إذا قيل إن التأويل هو تفسير الكلام وبيان معناه، كما هو صنيع الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى فالتفسير والتأويل متقاربان أو مترادفان في المعنى، إذا قلنا أن التأويل بمعنى التفسير والإيضاح والتفسير هذا هو معناه في الأصل **فالتفسير والتأويل لا فرق بينهما**، وهذا كما قلت على اصطلاح السلف رحمهم الله فهذا المعنى المراد عندهم لا فرق بين التفسير والتأويل على هذا المعنى ومنه أيضاً دعوة النبي -صلى الله عليه وسلم- لابن عباس -رضي الله عنهما- حبر الأمة وترجمان القرآن **(اللَّهُمَّ فقه في الدين وعلمه التأويل)** أي: تفسير كلام الله جل وعلا وبيان معناه وقد استجاب الله سبحانه وتعالى دعوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لابن عباس فكان إمام الصحابة في التفسير وبيان معاني كلام الله تبارك وتعالى،

• **ثانياً:** إذا قيل أن التأويل هو نفس المراد بالكلام وهذا يعني ذات الشيء وحقيقته فبهذا لا شك سيكون هناك فرق بين التأويل والتفسير فالتأويل سيكون نفس المطلوب تأويل الطلب نفس المطلوب وتأويل الخبر نفس الشيء المخبر عنه، فالتفسير هو شرح وإيضاح الكلام أما التأويل فهو نفس الأمور الموجودة في الخارج فلو قلنا مثلاً **طلعت الشمس** فتأويل هذا هو نفس طلوعها فتأويل طلوع الشمس أنها خرجت وبانت وظهرت للناس أما إذا قلنا التفسير فلا بد أن يشرح ويبين كيف طلعت وما فائدتها وما إلى غير ذلك،

• **ثالثاً:** قيل أن التفسير ما وقع مبيناً في كتاب الله جل وعلا أو معيناً في صحيح سنة الرسول صلى الله عليه وسلم لأن معناه قد ظهر وو ضح هذا هو معنى التفسير لأنه مأخوذ من الظهور والبيان والوضوح أما التأويل فهو ما استنبطه العلماء فهو يحتاج إلى نظر وتأمل واستنباط فهذا يسمى التأويل الشئ الواضح الظاهر الذي فيه بيان من كتاب الله - عز وجل - أو من سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهذا تفسير واضح، مثل قول الله - تبارك وتعالى - { **أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ** } جاء تفسير المنعم عليهم في سورة النساء

قال تعالى { **وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا** } فالمنعم عليهم هم الذين أطاعوا الله وأطاعوا الرسول صلى الله عليه وسلم، أو ما جاء في السنة فلو فرضاً رُوي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما يفسر آية فهذا أمر قاطع منتهى وهذا حقيقة يعتبر هو التفسير الواضح البين مثل أن النبي - صلى الله عليه وسلم - فسر القوة في قوله تبارك تعالى { **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ** } قال عليه الصلاة والسلام وهو على أعواد منبره ( **ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي** ) فهذا فسر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - القوة بأنها الرمي، أيضاً في الحديث الآخر الصحيح أن علي رضي الله عنه ( سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم الحج الأكبر فقال: ( **هو يوم النحر** ) ، فلا كلام بعد كلام الرسول - صلى الله عليه وسلم - هذا هو التفسير على هذا القول الثالث **تفسير:** ما وقع مبيناً في كتاب الله تبارك وتعالى أو معيناً في صحيح سنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

أما **التأويل** فيدخل فيه الاستنباط والاستدلال ونحو ذلك أي ما استنبطه العلماء من الآية يسمى تأويلاً ولذلك قال بعضهم: **التفسير** ما يتعلق بالرواية **والتأويل** ما يتعلق بالدراية أي التفسير يتعلق بالروايات والمأثور كما سيأتينا إن شاء الله والدراية يعني الاستنباط والفهم والاستدلال يسمى تأويلاً،

• **رابعاً:** أن التفسير أكثر ما يستعمل في الألفاظ والمفردات أى يهتم بألفاظ الآية ومفردات الآية أما التأويل أكثر ما يستعمل في المعاني والجمال، والحقيقة أن هذه الأقوال الأربعة إن كان لي فيها من ترجيح أو وقفة تأمل فيها فلا في شك أن **القول الأول** إذا قلنا أن التأويل هو التفسير فلا فرق فالتفسير والتأويل كلاهما معناهما الإيضاح والبيان وإظهار المعنى ونحو ذلك،

**أما إذا قلنا أن بينهما فرقاً فلعل القول الثالث هو الأقرب** أن التفسير هو ما جاء مبيناً في كتاب الله عز وجل أو في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأيضاً يضاف إلى ذلك ما روي عن الصحابة والتابعين، والتأويل ما اجتهد فيه المفسر بالاستنباط والنظر وغير ذلك.

### ❖ شرف علم التفسير وأهميته:

العلماء يقولون العلم يشرف بشرف المعلوم هذه قاعدة دائماً يذكرونها ولا شك أن أشرف الكلام كلام الله عز وجل طريق السعادة والهداية والفلاح لمن تمسك به ولمن سار على نهجه يقول الله تبارك

وتعالى { هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ } فارتباط التفسير بكلام الله عز وجل هو الذي جعله من أشرف العلوم ومن أزكاها ومن أولها أهمية وأنه ينبغي أن تصرف له الأوقات وأن يعتني به العناية البالغة وأذكر في هذا المقام كلمات للإمام السيوطي رحمه الله تعالى ذكرها في كتابه "الإتقان في علوم القرآن" حول شرف هذا الموضوع يقول رحمه الله تعالى "التفسير من أجل علوم الشريعة وأرفعها قدراً وهو أشرف العلوم موضوعاً وغرضاً وحاجة إليه، لأن موضوعه كلام الله تعالى أما الغرض منه فهو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية ثم اشتدت الحاجة إليه لأن كل كمال ديني أو دنيوي لا بد أن يكون موافقاً للشرع وموافقة تتوقف على العلم بكتاب الله عز وجل".

### ❖ نعمة الله تعالى بإنزال القرآن الكريم

الله سبحانه وتعالى أنعم علينا نعمة عظيمة بإنزال القرآن الكريم فهو النعمة وهو الفضل كما قال تبارك وتعالى { لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ } فهذا القرآن هومنة وفضل من الله تبارك وتعالى وفي سورة يونس يقول الله تبارك وتعالى { قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ } وفضل الله ورحمته هنا هو القرآن الكريم وقد روى الحافظ ابن كثير في تفسيره "أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقف مع عماله يعدون غنائم جيء بها إليه فتعب هو والعمال من كثرة العد فقال أحدهم يا أمير المؤمنين هذا فضل الله ورحمته فقال عمر رضي الله عنه أخطأت، القرآن هو فضل الله ورحمته ثم قرأ هذه الآية { قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا }، ثم لما جاء إلى قوله \_ هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ \_ أشار بأصبعه إلى الغنائم "فلنحمد الله تبارك وتعالى على هذه النعمة وعلى هذه المنة نعمة الإسلام والإيمان وأن علمنا تبارك وتعالى القرآن،

### ❖ أوجه العناية بالقرآن الكريم:

العناية بكتاب الله جل وعلا تشمل أموراً كثيرة أوجزها الإمام الجليل أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي رحمه الله في قوله "حدثنا الذين كانوا يقرؤنا القرآن عثمان بن عفان و عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما أنهم كانوا إذا تعلموا من رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوهن حتى يتعلموا ما فيهن من العلم والعمل، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً. قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين في تعليقه على مقدمة شيخ الإسلام بن تيمية في التفسير لما ذكر هذا الأثر قال: "دل هذا الأثر على أن القرآن أنزل لثلاثة مقاصد يجب العناية بها":

■ أولاً: قالوا فتعلمنا القرآن يعني تلاوة وحفظاً، تعلماً وتعليماً،

■ ثانياً: قالوا فتعلمنا القرآن والعلم يعني الفقه بالقرآن الكريم فقه القرآن وتعلم أحكامه وتدبر آياته ومعرفة تفسيره وغير ذلك من العلوم المرتبطة به،

■ ثالثاً: قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل بكتاب الله جل وعلا ففيه السعادة والخير والفلاح كما قال سبحانه { إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا

سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } ويقول جل وعلا { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ } ولا حياة ولا سعادة ولا فلاح إلا في التمسك بكتاب الله جل وعلا، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول (والقرآن حجة لك أو عليك) قد روى أبو عبيد القاسم بن سلام عن أبي الدرداء رضى الله عنه وهو من أئمة الصحابة في التفسير والعلم بالقرآن قال: "إن أخوف ما أخاف يوم القيامة أن يقال لي "ياعويمر واسمه عويمر بن مالك ياعويمر أعلمت أم جهلت فأقول بلى والله علمت فلا تزال كل آية آخذة بفريضتها الآمرة هل ائتمرت والزاجرة هل انزجرت".